وَمَـنْ قَـالَ إنـي أسْـوَدُ لـيَـعـيـبَـنـي،
أُريـهِ بـفِـعْـلـي أنّـهُ أكْـذَبُ الـنّـاسِ[١]
فَـسـيـرِي مَـسـيـرَ الأمْـنِ يـا بـنْـتَ مـالِـكٍ!
وَلا تـجـنَـحـي بَـعـد الـرّجـاءِ إلـى الـيـاسِ[٢]
فَـلَـوْ لاحَ لـي شَـخْـصُ الـحِـمَـامِ لـقـيـتُـه
بـقَـلـبٍ شـديـدِ الـبـأسِ كـالـجـبَـلِ الـرّاسـي[٣]

وقلت لمهري

قال عند مبارزته عمرو بن ود العامري:

[الطويل]

شَـرَيـتُ الـقـنـا مـن قـبـلِ أن يُـشـتـرَى الـقـنـا
وَنِـلـتُ الـمُـنـى مـن كـلّ أشـوَسَ عـابـسِ[٤]
فـمـا كـلّ مـن يـشـري الـقَـنـا يَـطـعـن الـعـدا
وَلا كـلُّ مـن يـلـقـى الـرّجـالَ بـفـارِسِ[٥]

= إشراقه يرى نور النصر يلوح من وراء اسوداد الأفق المشحون بالموت والخوف، وذلك إذا تصاعدت دمدمات الأبطال وزمجروا زمجرة الأموات الذين عمل على تفريقهم بطعن يمزق الأكباد ويقطع الأنفاس بسرعة البرق الخاطف.

(١) يكره الشاعر النظرة الدونيّة التي تطعن بنسبه الكامن بسواد بشرته، فدواء هذا سفك دمه، فيبين له كذب مدعاه بأن الشاعر أبيض الصفات رغم سواد بشرته.

(٢)، (٣) يُطمئن الشاعر عبلة بأن المستقبل وضّاء؛ فعليها أن تطمئن وأن يعمر قلبها الأمل وألّا تفكّر باليأس، فلو أن الموت تمثل لها شخصاً لكان له بالمرصاد، ولقيه بقلب ثابت الجنان صُبّ من حديد فبدا كالجبل الراسي لا يتزعزع ولا يتزلزل من مكانه.

(٤)، (٥) الأشوس: من ينظر تكبّراً بمؤخر عينيه. إن الشاعر سبّاق إلى المكارم. =

خَـرَجْـتُ إلـى الـقَـرْمِ الـكَـمـيّ مـبـادِراً
وَقد هجستْ في القلبِ مني هوَاجسي[١]
وَقـلـتُ لـمُـهـري، وَالـقـنـا يَـقـرَعُ الـقَـنَـا:
تَـنَـبّـه، وَكـنْ مُـسْـتـيـقـظـاً غـيـرَ نـاعـسِ[٢]
فـجـاوَبَـنـي مُـهـرِي الـكـرِيـمُ وَقـالَ لـي:
أنـا مـن جِـيـادِ الـخَـيْـلِ كـن أنـتَ فـارِسـي[٣]
وَلـمـا تـجـاذَبْـنَـا الـسّـيُـوفَ وَأُفْـرِغَـتْ
ثـيـابُ الـمَـنَـايـا كُـنْـتُ أوّلَ لابـسِ[٤]
وَرُمْـحـي إذا مـا اهْـتَـزّ يَـوْمَ كَـرِيـهَـةٍ
تَـخِـرُّ لَـهُ كُـلّ الأسـودِ الـقَـنـاعـسِ[٥]

= لقد تملّك الرماح قبل بيعها وانتشارها بأيدي المحاربين، وبذا نال الشاعر مجداً بقتله كلّ متكبر جبار؛ لذا فلا قيمة للسلاح إذا اقتناه من لا يستعمله؛ فقيمته باستعماله، وكذلك لا يعدّ فارساً إلّا من يُقاتل وينتصر في نضاله.

(١)، (٢) القرْم الكمي: البطل الشجاع الشاكي السلاح. سرعان ما انحدر الشاعر لملاقاة ذلك البطل المدجج بالسلاح، وفي نفسه غضب وعوامل تنتابه من الحنق من ادّعائه أنه بطل لا يُغلب، قال لمهره منبهاً إيّاه أن يكون حذراً، أثناء اشتداد القتال حيث تلتقي الرماح فتقارع بعضها بعضاً.

(٣) انتهى الحوار بين الشاعر ومهره مؤكداً المهر أنه من أفضل جياد الخيول طالباً أن يكون فارسه، لأنه بحاجة إلى فارس يعتزّ بفروسيته له.

(٤) لم يتردّد الشاعر من أن يطلب الموت، فإذا بالموت يفرّ منه ليلحق أعداءه إذا ما التقت السيوف، وهو أول من يجعل عدوّه في رمحه.

(٥) القناعس، مفردهم قُناعس: الضخم الجثّة والهائل الخلقة. وإذا هزّ الشاعر رمحه أثناء الحرب سقط من الشجعان الأقوياء كلّ أسد جبار ضحيّة ضرباته.

وَمـا هـالَـنـي، يـا عَـبْـلَ! فـيـكِ مَـهـالِـكٌ
وَلَا رَاعَـنـي هَـوْلُ الـكَـمـيّ الـمُـمـارِسِ[١]
فَـدونَـكَ يـا عَـمْـرُو بـنَ وُدٍّ وَلا تـحُـلْ
فَـرُمْـحـيَ ظَـمْـآنٌ لِـدَمّ الأشَـاوِسِ[٢]

(١) يُخاطب الشاعر عبلة أنه لا يهتم لشجاع مهما عظُم شأنه في الحروب واستطال على غيره من الأقران؛ ففي سبيل مرضاتها لن يتوانى مهما بلغت التضحيات.

(٢) يدعو الشاعر عمرو بن وُدّ، أحد جبابرة الجاهلية، وقد التقاه عنترة في جولات فلم يقدر عليه، ألّا يتراجع في المواجهة الدامية، فرمح الشاعر شديد العطش لدماء الأبطال الشجعان، وفي ذلك تهديد له.